الاستئذان في حياة رسول الله ﷺ

من السلوكيّات العامّة التي يقوم بها الجميع: دخول بيوتِ الآخرين الخاصّة والعامّة، لكنّ هذا السلوك له آدابٌ ومبادئُ مهمّة يجب علينا كمسلمين اتّباعها في حياتنا اليومية وهذه الآداب على النحو التالي:

أ. أهمية الاستئذان قبل دخول المنزل.

ب. عدم النظر داخل المنزل أو دخوله بلا استئذان.

ج. الاستئذان ثلاثًا لا أكثر.

د. عدم الوقوف أمام الباب مباشرةً عند الاستئذان.

هـ. على من يستأذن للدخول أن يُعرّف نفسه.

و. الاستئذان عند دخول الغُرف داخل المنزل.

وأفضل قدوةٍ ومثلٍ يُتّبع في هذا الأمر هو الحبيب المصطفى ﷺ، فلنُلْقِ نظرةً عامّةً على سلوكياته ﷺ وأوامره في هذا الشأن.

أ. أهمية الاستئذان قبل دخول المنزل

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣٢٠]، فالمنازل هي أماكن خاصّة ذاتُ حُرمة وثمّةَ أصولٌ وآدابٌ يجب مراعاتها عند دخول هذه الأماكن الخاصّة، وأهم هذه الآداب أن يستأذن الضيفُ من صاحب المنزل بالدخول، وثمرةُ الأمر بالاستئذان غضُّ البصرِ، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**"[٣٢١].

ب. النهي عن النظر داخل المنزل أو دخوله بلا استئذان

لا يجوز في ديننا الحنيف النظر داخل المنازل أو دخولها دون استئذان، فهذا الأمر يُعدّ سلوكًا قبيحًا منذ العهود الأولى للبشر، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ ﷺ "**لو أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**"[٣٢٢]، فبهذا الوعيد الذي أطلقَه النبيّ ﷺ يتبيّنُ لنا مدى خطإ ذلك الرجل ومدى قبحِ ذاك السلوك.

ج. الاستئذان ثلاث مرّاتٍ لا أكثر

على المرء أن يستأذن ثلاثَ مرّاتٍ على الأكثر قبل دخول مكان ما، وألّا يزيد على ذلك، كما يجب عليه أن يعود أدراجَه إن لم يُجبه أحدٌ أو يأذن له، وفي هذا الشأن يقول المولى ﷻ في قرآنه الكريم ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا

(٣٢٠) سورة النُّور: ٢٤/٢٧.

(٣٢١) صحيح البخاري، الاستئذان، ١١.

(٣٢٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (٣١٨).

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٣٢٣)، كما نتعلم من الهديِ النبويّ كيفية الاستئذان عند الدخول فعن أبي موسى الأشعريّ وعن أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: "إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ..."(٣٢٤)، فيجب أولًا أن نطرق الباب أو نرنّ الجرسَ المنزليّ ونستأذن للدخول، ذاك أن منازلنا الحاليّة ليست كسابقتها التي كانت في عهد الرسول ﷺ، أما إذا لم يُجبْ أحدٌ فيطرق البابَ، أو يدقّ الجرسَ ثلاث مرّاتٍ على الأكثر، وعليه أن يعود أدراجه إن لم يردّ عليه أحدٌ من الداخل أو يُفتح الباب، لأنّ هذا يعني أن لا أحدَ في المنزل، أو أنهم غير مستعدّين للترحيب بهذا الضيف.

د. تعليمه ﷺ آداب دخول المنزل

هناك مبادئُ عامّة وقواعد مهمّة يجب مراعاتها عند دخول المنزل، فنحن نسمّي مجموعة هذه القواعد "آداب دخول المنزل"، ولقد كان الرسول ﷺ قدوةً لأصحابه ويطبّق بنفسه بعض الأمور ليوضّحها لهم ككيفيّة الاستئذان عند دخول منزلٍ ما، وتبيان الأمور التي يجب مراعاتها في الاستئذان.

زيارته ﷺ لسعد بن عبادة ﷺ

عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْد بن عبادة ﷺ قَالَ: "زَارَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنْزِلِنَا فَقَالَ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ فَرَدَّ سَعْدٌ رَدًّا خَفِيًّا، قَالَ قَيْسٌ: فَقُلْتُ: أَلَا تَأْذَنُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: ذَرْهُ يُكْثِرُ عَلَينَا مِنَ السَّلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ سَعْدُ رَدًّا خَفِيًّا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(٣٢٣) سورَةُ النُّورِ: ٢٨/٢٤.

(٣٢٤) صحيح البخاري، الاستئذان، ١٣.

السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ تَسْلِيمَكَ وَأَرُدُّ عَلَيكَ رَدًّا خَفِيًّا لِتُكْثِرَ عَلَينَا مِنَ السَّلَامِ، قَالَ: فَانْصَرَفَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَمَرَ لَهُ سَعْدٌ بِغُسْلٍ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ نَاوَلَهُ مِلْحَفَةً مَصْبُوغَةً بِزَعْفَرَانٍ، أَوْ وَرْسٍ، فَاشْتَمَلَ بِهَا، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيهِ وَهُوَ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ ابْنِ عُبَادَةَ**"(٣٢٥).

وكما نرى في الحديث فقد طبّق الرسول ﷺ بنفسه كلّ التوجيهات والإرشادات التي وجّهها إلينا بالنسبة لآداب الاستئذان.

فلقد ألقى التحيّة أوّلًا..

ثمّ استأذنَ ثلاث مرّاتٍ..

فلمّا لم يأتِ الردّ والترحاب من أصحاب المنزل لم يصرّ على الدخول وعاد أدراجه.

هـ. تعليمه ﷺ أمته كيفية الاستئذان

لم يكن الناس في عهد الرسول ﷺ على علم بقواعد الآداب، ومن ثم نجد الكثير منهم كانوا يقومون بسلوكياتٍ خاطئةٍ، وقد كان النبي ﷺ يصحّح لهم المسارات ويُرشدهم ويهديهم نحو الأفضل بتوجيهاته ونصائحه، فإن بَدَرَ من أحدهم سلوكٌ حسنٌ أقرّه وسدّده، وإن بَدَرَ سلوكٌ خاطئٌ أنكره ونهى عنه دون غضبٍ أو كلَلٍ أو ملَلٍ، ففي عهد المصطفى ﷺ كان من يتكلّم خارج المنزل يُسمَعُ صوته في الداخل، وذاك لأن المنازل حينها كانت تُبنى بطريقةٍ بسيطةٍ، وتتكوّن من طابقٍ واحدٍ في

(٣٢٥) سنن أبي داود، الأدب، ١٢٧-١٢٨.

الغالب، ومن ثمّ كان الصحابة عندما يأتون منزل الرسول ﷺ يستأذنون قائلين "السلام عليكم، هل لنا بالدخول؟"، بيد أن هناك من كانوا يتناسون الاستئذان ويدخلون دون إذنٍ، فكان النبيّ ﷺ ينهاهم عن ذلك بكلامٍ ليّنٍ لطيفٍ، نتناولُ مثالًا على ذلك:

١- تعليمه ﷺ رجلًا من "بني عامر" آداب الاستئذان

عَنْ رِبْعِيٍّ قَالَ: "حَدَّثَنَا رَجُلٌ مَنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيتٍ فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ: **اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الِاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيكُمْ، أَأَدْخُلُ؟** فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ"(٣٢٦).

٢- تحذيره ﷺ "كَلَدَةَ بنَ حنبل"

وفي رواية أخرى نجد النبي ﷺ وهو ينهى "كلدة" بلطفٍ وتهذيب عندما أراد الدخول عليه دون أن يُلقي عليه السلام، فعن كَلَدَةَ بْنَ حَنْبَلٍ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بِلَبَنٍ وَلِبَإٍ وَضَغَابِيسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى الوَادِي، قَالَ: "فَدَخَلْتُ عَلَيهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ أَأَدْخُلُ؟**"(٣٢٧).

وهكذا فإنّ النبيّ ﷺ دائمًا ما يُرشِدُ الصحابة إلى محاسن السلوك وينهاهم عن قبيح السلوك.

و. عدم الوقوف أمام الباب مباشرةً عند الاستئذان

كان النبيّ ﷺ يُراعي -عند ذهابه إلى منزل الغير- ألّا يقف أمام الباب مباشرةً بل كان يقف يمين الباب أو يساره، وفي رواية عن

(٣٢٦) سنن أبي داود، الأدب، ١٢٥-١٢٦.

(٣٢٧) سنن الترمذي، الاستئذان، ٨.

عبد الله بن بُسرٍ قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَومٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيمَنِ، أَوِ الْأَيسَرِ، وَيَقُولُ ﷺ: **السَّلَامُ عَلَيكُمْ، السَّلَامُ عَلَيكُمْ**"(٣٢٨)، كانت المنازل في عهد النبيّ ﷺ مكوّنةً من طابقٍ واحدٍ في الغالب، كما أنها كانت صغيرةً، ومن ثمّ كان مَن يقف أمام الباب يرى المنزل بأكمله ويطّلع على حاله كلّه حينما يُفتح الباب، ولذا لم يكن الرسول ﷺ يقف أمام الباب مباشرةً بل يقف على يمينه أو يساره، ويجب علينا حتّى في الوقت الحالي مراعاةُ هذه السنة واتّباعها في المنازل المنشَأة بهذا الشكل، أمّا المنازل العصريّة الضخمة والمرتفعة فلها آدابها الخاصّة، فإذا كان على باب المبنى السكنيّ كاميرا للمراقبة فيجب علينا الاقتراب منها حتى يتمكّن صاحب البيت من رؤيتنا ومعرفتنا، وإن كان ثمّةَ جرسٌ فعلينا أن نقرعه وننتظر، وإن كان ثمّةَ جهاز تسجيلٍ أو نقلٍ للأصوات؛ فعلينا أن نتكلّم بوضوحٍ ونذكر أسماءنا ونعرّف عن أنفسنا.

ز. على من يستأذن للدخول أن يُعرّف عن نفسه

عند الاستئذان لا يجوز أن نُجيب على الأسئلة مثل "من الطارق؟"، "من أنت؟"؛ بإجابة لا تفيد التعريف مثل "أنا"، بل لا بدّ من إجابةٍ مفهومة مختصرةٍ وواضحة، وبأقوال تكشف هوية الطارق تمامًا، فكما يجب الاستئذان قبل الدخول، يجب أيضًا التعريف بالنفس عند السؤال عن الهوية، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قال: "أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَينٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ ﷺ: **مَنْ ذَا؟** فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: **أَنَا أَنَا، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا**"(٣٢٩).

(٣٢٨) سنن أبي داود، الأدب ١٢٧-١٢٨.

(٣٢٩) صحيح البخاري، الاستئذان، ١٧.

طرق أحدُهم باب النبي ﷺ وعندما سأل النبيُّ ﷺ "من الطارق؟"؛ أجاب الرجل بعبارةٍ غير مفيدةٍ وقال "أنا" فلم يعجَب الرسول ﷺ بهذا الردّ، لأنّ هذه الكلمة غير كافيةٍ في الإيضاح والتبيين، فكان النبيّ ﷺ دائمًا ما يوجّه أصحابه إلى الصحيح من السلوك، فإذا أمرهم بشيءٍ انصاعوا له، وإذا نهاهم عن شيءٍ ابتعدوا عنه، ولذا كانوا يفعلون ما يجب عليهم فعله، وعندما يسألهم النبي "من الطارق؟" يجيبون جوابًا واضحًا ويعرّفون أنفسهم بأسمائهم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: "خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنْ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ ﷺ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ"(٣٣٠).

ح. الاستئذان عند دخول الغُرف داخل المنزل

مثلما يجب الاستئذان عند دخول المنزل، يجب أيضًا الاستئذان عند دخول الغرف داخل المنزل، فعلى الجميع في المنزل أطفالًا وخدمًا أن يراعوا ذلك، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٣٣١)، والآية الكريمة توضّح أنه لا يجوز للأطفال أن يدخلوا حجرة والديهم إلا بعد أن يستأذنوا للدخول لا سيّما في هذه الأوقات الثلاثة، وهذه الأوقات هي:

(٣٣٠) صحيح البخاري، الرقاق، ١٣.

(٣٣١) سورَةُ النُّورِ: ٢٤/٥٨.

١- قبل صلاة الفجر

٢- عند وضع الثياب من الظهيرة

٣- بعد صلاة العشاء

كما أخبرنا القرآن الكريم أيضًا أنه يجب على من بلغوا الحلم منهم ألا يدخلون الغرفة دون استئذانٍ قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٣٣٢] وتستوقفنا هنا هذه الرواية التي توضح أنه لا يجوز دخول الغرفة دون استئذان، فعن عطاء بن يسار ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ ﷺ: **نَعَمْ** فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اسْتَأْذِنْ عَلَيهَا**، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟** قَالَ: لَا، قَالَ ﷺ: **فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا**"[٣٣٣]، وكما نرى في الحديث الشريف إذا كنا نريد تجنب المواقف الحرجة السيئة، يجب أن نستأذن قبل دخولنا الغرفة، حتى وإن كان من بداخلها فردٌ من عائلتنا.

وأخيرًا؛ لا يجوز دخول المنازل والنظر إليها دون استئذان، بل يجب الاستئذان قبل الدخول، ودقّ الجرس أو الباب ثلاث مرّاتٍ على الأكثر، وألّا نقف أمام الباب مباشرةً، كما يجب أن نُعرّف عن أنفسنا بأسمائنا، وأن نعتاد الاستئذان قبل الدخول إلى الغرف داخل المنزل، وإذا ما راعينا هذه الأمور واتّبعناها جيدًا فسيتحسن طراز حياتنا، ولن نشقّ على من نزورهم ولن نزعجهم، والأهمّ من هذا كلّه هو: الحصول على ثواب اتّباع السنة.

---

(٣٣٢) سورَةُ النُّورِ: ٢٤/٥٩.

(٣٣٣) **موطأ الإمام مالك**، ٥/١٤٠٢.

القسم الحادي عشر

آداب رسول الله ﷺ في المصافحة

المصافحة في حياة رسول الله ﷺ

المصافحة تعني السلام باليد بقصد إلقاء التحية أو السلام أو التهنئة وإظهار الصداقة والمحبة وغيرها، وإحدى خصال الدين الإسلامي هي مصافحة المسلمين بعضهم البعض بعد السلام، ومن ثم يجب علينا مراعاة هذا الأمر، ومقابلة اليد الممتدة للمصافحة بالمثل حتى وإن كان المَرْءُ مستاءً وغاضبًا، وفي رواية عَنْ قَتَادَةَ ﷺ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ: ''أَكَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَعَمْ''(٣٣٤)، ومن الأمور الأخرى المحمودة في الإسلام معانقة الأصدقاء أو الأقرباء القادمين من سفرٍ بعيدٍ، وتقبيلُ أيدي الكبار، وجبينِ الصغار ورؤسِهم.

أ. مصافحته ﷺ لأصحابه حين يلقاهم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: ''كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ

(٣٣٤) صحيح البخاري، الاستئذان، ٢٧.

الَّـذِي يَنْـزِعُ، وَلَا يَصْـرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِـهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُـلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُـهُ وَلَمْ يُـرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيهِ بَينَ يَدَي جَلِيسٍ لَـهُ"(٣٣٥)، وفي رواية أخرى لأنس يحكي لنا مثالًا جميلًا لمصافحة النبي ﷺ حيث كان ﷺ لا يسـحب يده قبل أن يدعها الرجل، حتى لا يجرح شـعوره، فعَنْ أَنَس بن مالك ﷺ قَـالَ: "مَـا رَأَيْتُ رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَـهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُـلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَـهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَـذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُـونَ الرَّجُـلُ هُـوَ الَّـذِي يَـدَعُ يَـدَهُ"(٣٣٦)، أي إن أفضل دليـلٍ على تقدير الشـخص الـذي نصافحـه واحترامـه، ألا نترك يـده قبل أن يـدع هو يدنا، وعلى الجميـع في وقتنا الحاليّ مراعاة مثل هذه الأمور جيّدًا في علاقتهم بالآخريـن، وهنـاك حديث آخـر يُبيّن أن النبـي ﷺ كان يلقـي التحية أولًا علـى مـن يلقاهم ثم يصافحهم، يقول جندب كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ "إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ لَمْ يُصَافِحْهُمْ حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيهِمْ"(٣٣٧)، وهناك روايةٌ أخرى توضّح وتبيّـن مـدى اهتمام النبـيّ ﷺ بالمصافحة فعَنْ أَبِي هُرَيـرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِـيَ حُذَيفَةَ، فَـأَرَادَ أَنْ يُصَافِحَهُ، فَتَنَحَّى حُذَيْفَةُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ جُنُبًا، فَقَالَ ﷺ: "**إِنَّ الْمُسْـلِمَ إِذَا صَافَـحَ أَخَـاهُ تَحَاتَّـتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَـا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّـجَرِ**"(٣٣٨)، ويؤكد الحديث السـابق أن النجاسـة المعنوية لا تمنـع من المصافحة، وفي ذلك دليل على أهميتها وقيمتها.

١- حثّه ﷺ على المصافحة

أمـر النبـي ﷺ المؤمنين أن يسـتغفروا بعد المصافحة، فعـن البراء بن عازبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا**

(٣٣٥) سنن الترمذي، صفة القيامة، ٤٤.

(٣٣٦) سنن أبي داود، الأدب، ٥.

(٣٣٧) الطبراني: المعجم الكبير، ١٧٦/٢.

(٣٣٨) مسند البزار، ٨٤/١٥.

الله ﷻ، وَاسْتَغْفَرَاهُ غُفِرَ لَهُمَا"(٣٣٩)، وكما نرى في الحديث الشريف قد بشّر النبي ﷺ المسلمَين اللذَين يتصافحان ثم يستغفران الله بأن ذنوبهما ستُغفَر قبل أن يقوما من مقامهما، ولا ريب أن غفرانَ الذنوب هنا يُقصد به العفو عن الصغائر دون حقوق العباد، وعلى الرغم من أن موضوع الحديث هو العفو عن صغائر الذنوب؛ إلا أنه يُبين أهمية المصافحةِ وعظمةَ شأنها إلى جانب أهمّيّة الاستغفار والدعاء.

٢- عدم مصافحته ﷺ النساء عند مبايعتهن

لا يجوز للنساء أن يصافحن الرجال من غير المحارم أو يقبّلن أيديهن، وعندما نزلت هذه الآية في المدينة وضّحت أُسُس مبايعة النساء، فقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾(٣٤٠)، وعندما نزلت هذه الآية جمع النبي ﷺ النساء في المدينة وطلب مبايعتهن، فعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَلَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿**لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا**﴾، قَالَتْ: وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا"(٣٤١).

وقالت في حديثٍ آخر ﵂: "كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمْتَحِنُهُنَّ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ**، لَا وَاللهِ مَا مَسَّتْ

(٣٣٩) سنن أبي داود، الأدب، ١٤٠-١٤١.

(٣٤٠) سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: ١٢/٦٠.

(٣٤١) صحيح البخاري، الأحكام، ٤٩.

يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالْكَلَامِ وَاللهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ، يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: **قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا**"(٣٤٢).

كما رُوِيَ أن النبي ﷺ كان يضع قماشًا فوق يديه وتضع النساء نفس القماش فوق أيديها ثم يبايعهن، وعن أُمَيمَةَ بِنْتَ رُقَيقَةَ ﵂ قالت: "جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ نُبَايِعُهُ، فَقَالَ ﷺ لَنَا: **فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ**"(٣٤٣)، كما رُوِيَ أنه كان يبايعهن عن طريق وضع يده في كوب ماء، ثم تضع النساء من بعده أيديها في الكوب(٣٤٤)، ومما يجذب الانتباه هنا هو أن النبي ﷺ لم يصافح امراةً قطّ من غير المحارم، ومن ثم علينا مراعاة هذا الأمر جيدًا أثناء المصافحة.

ب. السنة النبوية في المعانقة والتقبيل

استنادًا إلى الإجابات التي أجاب بها الرسول ﷺ على الأسئلة الموجّهة إليه، واستنادًا إلى أفعاله وسلوكياته في هذا الأمر، فإنه قد أباح المصافحة وحرّم المعانقة والتقبيل في غير الظروف الاستثنائية، فعَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوِ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ ﷺ: **لَا**، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ ﷺ: **لَا**، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ ﷺ: **نَعَمْ**"(٣٤٥).

فلقد نهى النبيّ ﷺ عن المعانقة والتقبيل، وأجاز المصافحة باليد في الظروف العاديّة، أما اللقاء بعد طول افتراق أو عقب سفرٍ طويلٍ فلا بأس بالمعانقة كما كان يفعل الصحابة ﵃.

(٣٤٢) صحيح البخاري، الطلاق، ١٧.

(٣٤٣) سنن ابن ماجه، الجهاد، ٤٣.

(٣٤٤) انظر، ابن إسحاق: السير والمغازي.

(٣٤٥) سنن الترمذي، الاستئذان، ٣١.

ولقد قسّم علماء الحديث هذا الأمر طبقًا للروايات كما سيأتي:

وعليه إذا تقابل اثنان لهما أن يتصافحا، كما يجوز معانقة الصديق أو القريب القادم من سفر بعيد، ولكن عندئذٍ لا بد من مراعاة أن تكون الثياب التي يرتديها سميكة، أما التقبيل فقد قال فيه علماء الإسلام أنه يستحب تقبيل أيدي المبجّلين من الناس وكبار السن والعلماء والمتدينين منهم، أما إذا كان التقبيل بسبب الغنى والثراء والشهرة فهو مكروه، ومن ثمّ فإن التقبيل يكون لليدين والجبين، وليس للشفة أو الخدّ.

١- استقباله ﷺ القادمين من سفرٍ بعيدٍ

من جميل الخصالِ معانقةُ المعارف والأصدقاء القادمين من سفرٍ بعيدٍ وتقبيل أيديهم أو جبينهم بحسب أعمارهم، ولقد كان النبي ﷺ يستقبل القادمين من سفرٍ بعيد بحفاوةٍ وترحابٍ، فإن كانوا أقرباء له يعانقهم ويقبّل جبينهم ويُظهر لهم مدى حبّه لهم وشوقه للقائهم.

استقباله ﷺ لزيد بن حارثة

زيد بن حارثة رضي الله عنه: هو ابن النبيّ ﷺ بالتبنّي، وكان النبيّ ﷺ يحبّه حبًّا جمًّا، وكثيرًا ما كان يُعيّنه على رؤوس الطلائع والسرايا أو يستخلفه قائدًا على الجيش، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "قَدِمَ زَيدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيتِي فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوبَهُ، وَاللهِ مَا رَأَيتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ"(٣٤٦).

نعم، لقد كان الحبيب المصطفى ﷺ في غاية اللطافة والنبل، فلم يكن يريدُ لزيدٍ أن ينتظر طويلًا على الباب، بل بمجرّد سماع النبيّ ﷺ صوتَ

(٣٤٦) سنن الترمذي، الاستئذان، ٣٢.

زيدٍ هرع مسرعًا إلى الباب لاستقباله حتى إنه لم يكن قد ارتدى ثيابه كاملةً بل يجرّها وراءَه ويلبسها وهو في طريقه إلى الباب.

استقباله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: "بَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، بِهَدِيَّةٍ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَالُوا لَهُ -وَنَحْنُ عِنْدَهُ-: قَدْ بَعَثُوا إِلَيْكَ أُنَاسًا مِنْ سَفَلَتِنَا وسُفَهَائِهِمْ، فَادْفَعْهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: لَا، حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا، وَقَالَ: مَا تَقُولُونَ؟ فَقُلْنَا: إِنَّ قَومَنَا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَآمَنَّا بِهِ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: عَبِيدًا هُمْ لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَلَكُمْ عَلَيهِمْ دَينٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ فِي عِيسَى، غَيرَ مَا تَقُولُونَ، قَالَ: إِنْ لَمْ يَقُولُوا فِي عِيسَى مِثْلَ مَا أَقُولُ لَمْ أَدَعْهُمْ فِي أَرْضِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَينَا، فَكَانَتِ الدَّعْوَةُ الثَّانِيَةُ أَشَدَّ عَلَينَا مِنَ الْأُولَى، فَقَالَ: مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقُلْنَا: هُوَ يَقُولُ: هُوَ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَ: فَأَرْسَلَ، فَقَالَ: ادْعُوا فُلَانًا الْقَسَّ، وَفُلَانًا الرَّاهِبَ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُنَا، فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ النَّجَاشِيُّ: فَأَخَذَ شَيئًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا عِيسَى مَا زَادَ عَلَى مَا قَالَ هَؤُلَاءِ مِثْلَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُؤْذِيكُمْ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ آذَى أَحَدًا مِنْهُمْ، فَأَغْرِمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قَالَ: يَكْفِيكُمْ؟ فَقُلْنَا: لَا، فَأَضْعَفَهَا، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَ بِهَا، قُلْنَا لَهُ: إِنَّ صَاحِبَنَا قَدْ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَ بِهَا، وَهَاجَرَ، وَقَتَلَ الَّذِينَ كُنَّا حَدَّثْنَاكَ عَنْهُمْ، وَقَدْ أَرَدْنَا الرَّحِيلَ إِلَيهِ، فَزَوِّدْنَا، قَالَ: نَعَمْ، فَحَمَّلَنَا، وَزَوَّدَنَا، وأَعْطَانَا، ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ، مَا صَنَعْتُ إِلَيكُمْ، وَهَذَا رَسُولِي مَعَكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَقُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرُ لِي، قَالَ جَعْفَرٌ: فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَينَا الْمَدِينَةَ، فَتَلَقَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاعْتَنَقَنِي، فَقَالَ ﷺ: **مَا أَدْرِي أَنَا بِفَتْحِ خَيبَرَ أَفْرَحُ، أَوْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ**، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَامَ رَسُولُ النَّجَاشِيِّ، فَقَالَ: هُوَ ذَا جَعْفَرٌ، فَسَلْهُ مَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُنَا، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَدْ فَعَلَ بِنَا كَذَا، وَحَمَّلَنَا، وَزَوَّدَنَا، ونَصَرَنَا، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرُ لِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَعَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلنَّجَاشِيِّ**، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: آمِينَ، قَالَ جَعْفَرٌ: فَقُلْتُ لِلرَّسُولِ: انْطَلِقْ، فَأَخْبِرْ صَاحِبَكَ مَا رَأَيتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ"(٣٤٧).

ويتبين من هاتين الروايتين أن النبي ﷺ قد عانق كلا من زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ﷺ، وقد كان زيدٌ ابنه بالتبنّي، وجعفر ابن عمّه أبي طالبٍ بمثابة ابنه أيضًا لأنّ والدَه توفّي وهو صغيرٌ، فأخذه عمّه العبّاس وربّاه، وقد كان الرسول ﷺ بمثابة أبٍ له، ويلبّي كل احتياجاته، وكما رأينا فقد تعامل مع الاثنين بشفقة الأب ورحمته بأبنائه.

وقد قسم العلماء التقبيل إلى أقسامٍ متعدّدةٍ؛ وهي:

"التحية والشفقة والرحمة والشهوة والمودة"

فتقبيل الوالدين خدّ ابنهما هو "تقبيلٌ من قبيل رحمة"، ولقد اتّضح من هاتين الروايتين مدى لطف النبي ﷺ ورقّة شعوره ولينه حين قبّل جبينهما.

٢- تصرّفه ﷺ تجاه من يريدون تقبيلَ يده

لم يكن الرسول ﷺ يسمح للناس -بشكلٍ عام- أن يُقبّلوا يديه، غير أنه كان لا يردّ مَن يريدون ذلك ويصرّون عليه، وقد أذن الرسول لأصحابه بذلك ممّن يريدون تقبيلَ يديه، فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ: "قَالَ يَهُودِيٌّ

(٣٤٧) الطبراني: المعجم الكبير، ١١٠/٢.

لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ فَقَالَ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ نَبِيٌّ، إِنَّهُ لَو سَمِعَكَ كَانَ لَـهُ أَرْبَعَـةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا رَسُـولَ اللهِ ﷺ فَسَـأَلَاهُ عَنْ تِسْـعِ آيَـاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَقَـالَ لَهُـمْ ﷺ: **لَا تُشْـرِكُوا بِاللهِ شَـيْئًا، وَلَا تَسْـرِقُوا، وَلَا تَزْنُـوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَمْشُـوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُـلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْـحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُـوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَـةً، وَلَا تُوَلُّوا الفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً اليَهُودَ أَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّـبْتِ**، قَالَ: فَقَبَّلُوا يَدَيهِ وَرِجْلَيـهِ، فَقَالَا: نَشْـهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ ﷺ: **فَمَا يَمْنَعُكُـمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي**؟ قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَـا رَبَّـهُ أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ تَبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا اليَهُودُ"[٣٤٨].

ولقـد اسـتنبط علماء الإسـلام مـن هذا الحديـث أنه يجـوز تقبيلُ يد الشـخص لزهـده وتُقاه وعلمه وشـرفه وصدقه وعدلـه وأمانته، ولا يجوز تقبيل يده لثرائه وغناه أو لأيّ أسبابٍ دنيويّة.

وأخيـرًا يجـب علينـا مصافحـة أفـراد عائلتنـا، وأصدقائنـا المقرّبين، وأقربائنا لدى مقابلتهم، وأن نستقبل من يأتون منهم من سفرٍ بعيدٍ بحفاوةٍ وحبٍّ، فنعانقهم ونقبّلهم، ولا تجوز مصافحةُ غيرِ المحارم.

(٣٤٨) سنن الترمذي، الأدب، ٣٣.